

الفصل الثالث والعشرون

علم الجغرافيا في القرنين الأخيرين^(١)

كراتيس وسترابون

بينما كانت المؤلفات الرئيسية ، في العمارة والزراعة مكتوبة باللغة اللاتينية ، وهي تكاد تكون الوحيدة من نوعها ، كان معظم المؤلفات الجغرافية مكتوباً باللغة اليونانية ، باستثناء ما ظهر منها في نهاية القرون الثلاثة التي نحن بصدددها ، أى زمن قيصر وأغسطس ، حين ظهرت مؤلفات جغرافية باللغة اللاتينية وكانت تلك المؤلفات رومانية خالصة ، أى مؤلفات رومانية خالية من أية صيغة هلنستية . وكان الرائدان الرئيسيان في هذا المجال كراتيس المالوسى (القرن الثانى ق.م) وسترابون الأماسى (القرن الأول ق.م) .

الجغرافيا عند اليونان

كراتيس المالوسى :

كانت مدينة مالوس ، موطن كراتيس ، مقر جالية يونانية قديمة بإقليم قيليقية الحالية ، ويقال إن هذه الجالية تأسست زمن حرب طروادة^(٢) . وعاش كراتيس بمدينة برجامة حيث كان رئيساً لمدرسة فقه اللغة ومديراً للمكتبة . وكان معنى ذلك أنه دخل كثيراً في مناقشات مع معاصريه من علماء مدرسة الإسكندرية ، وسوف نتحدث عن ذلك في الفصل السادس والعشرين . وكانت السنة الوحيدة المعروفة من حياته هي سنة ١٦٨ ، حين أرسله الملك يومينيس الثانى مندوباً إلى روما ليقدّم تهنئات هذا الملك إلى رؤساء الدولة الرومانية

بمناسبة انتصار بيدنا . ويقال إن زيارته أثرت في نمو المكتبات العامة في روما .
غير أن هذا القول يكون سابقاً لأوانه فيما يخص نمو المكتبات في روما .

ويذكر سترابون (الكتاب الثاني ، فصل ٥ ، فقرة ١٠) أن كراتيس صنع كرة أرضية ، وهى أول محاولة تعرفها ، مع العلم بأن تصميمات كروية للأجرام السماوية استخدمت من قبل . ولما كان المعمور من العالم جزءاً صغيراً من سطح الأرض ، لاحظ سترابون أنه ينبغي استخدام كرة كبيرة لا يقل قطرها عن عشر أقدام لأغراض الدراسة العملية ، ولكنه لم يذكر أن كرة كراتيس كانت كبيرة بهذا الحجم . ويبدو أن كراتيس لم يحفل بالتفاصيل الجغرافية ، وأنه كان أكثر اهتماماً بالظواهر العامة في الكرة الأرضية . إذ أحيا نظرية الفيثاغوريين وأضاف إليها ، وهى النظرية القائلة بوجود أربع كتل أرضية ، بمعنى أنه ليست هناك معمورة واحدة ، بل توجد منها أربع واقعة على أربع كتل من الأرض ، يفصلها بعضها عن بعض محيطان ، وتواجه كل اثنتين منها اثنتين الأخرين (تستطيع أيها القارئ أن تتخيل نفاحة تأخذها أنت وتقسماها إلى أربعة أجزاء بواسطة مسطحين متعامدين) . وكانت هذه النظرية الفيثاغورية من غير شك نظرية لا يقوم لها دليل ، ولكنها أرضت الخيال ، وألهمت الفكر الجغرافى أكثر من مرة (٣) .

وسوف نتحدث الآن بإيجاز أكثر ، عن ثلاثة من معاصرى كراتيس ، وهم : بوليمون الرحالة ، وأجاثرخيديس ، وبوليبيوس الرواقى .

بوليمون الرحالة :

أما بوليمون الرحالة (النصف الأول من القرن الثانى ق.م.) فنشأ في مدينة طروادة ، وطوف في جميع بلاد اليونان . ويشير لقبه ، أى الرحالة ، إلى مهنة تعتبر من مظاهر الحياة في عصره ؛ إذ أولع اليونان دائماً بالترحال ، وكان هناك رحالة محترفون ، وهم ممن جعلوا صناعتهم معرفة المدن اليونانية ، ويقومون بإرشاد الآخرين ، مثل الزوار الرومان ، من مدينة إلى أخرى ، شارحين لهم

المباني الهامة فيها . ولم يصلنا من أعمال بوليمون غير شفرات^(٤) من مؤلفاته . ومن هذه المؤلفات كتب سياحية وتاريخية في تأسيس كثير من المدن . كما قام ببحث بعض المسائل الأثرية ، ونشر نقوشاً كتابية خاصة بكثير من المدن القديمة . وكان معظم هذه النقوش التي قام بجمعها عبارات تهنئة مقلمة للآلهة بمعابد دلفي وإسبرطة وأثينا . وليس من الثابت أن كراتيس نفسه عمل مرشداً مترحلاً بين البلاد ، ولكن أعماله جعلت مهنة الإرشاد السياحي عملاً مستطاعاً ، أى إنه كان الأب للمرشد السياحي اليوناني .

أجاثرخيديس الكندي^(٥) :

كان أجاثرخيديس من الفلاسفة المشائين في النصف الأول من القرن الثاني ق . م ، وبلغ أوج مجده في الإسكندرية في الربع الثاني من القرن الثاني ، إذ كان مربياً أو معلماً لأحد الملوك البطالمة (بطلميوس الحادي عشر سوتير الثاني ؟) وله مؤلفات في جغرافية آسيا وتاريخها في عشرة كتب ، وفي جغرافية أوروبا وتاريخها في ٤٩ كتاباً ، ولكن أهم أعماله كتاب عن البحر الأحمر^(٦) ؛ ويشتمل هذا الكتاب على معلومات جغرافية وبشرية عن إثيوبيا وبلاد العرب ؛ مثل أخبار مناجم الذهب في إثيوبيا ، وآكل السمك على الساحل العربي . ويرجع أجاثرخيديس سبب فيضان النيل في الصيف إلى المياه التي تتجمع في إثيوبيا في فصل الشتاء .

بوليبوس :

كان بوليبوس الرواق (النصف الأول من القرن الثاني) ، سبب أولاً وقيل كل شيء مؤرخاً ، وهو أحد عظماء المؤرخين في العصور القديمة ، وسوف نفصل القول في دراسة أهمية أعماله بصورة أشمل في الفصل التالي ، لكنه يستحق أن يستوقف اهتمامنا هنا ، إذ كانت الجغرافيا في نظره إحدى المواد الثانوية المساعدة للتاريخ السياسي ، لكنه أدرك تمام الإدراك أن المعرفة الجغرافية الجيدة

كادت من اللوازم الأساسية لكل مؤرخ باحث . وكان بوليبيوس الرواق يونانياً صميمًا من إقليم أركاديا . طوف كثيراً في أرجاء العالم اليوناني ، كما فعل غيره من اليونانيين . لكنه على خلاف أكثرهم ترحل كذلك في البلاد الغربية ، أى إيطاليا وجاليا وإسبانيا . ولذا اكتسب بوليبيوس خبرة غير عادية بالبيئة الغربية ، التى قام بوصفها فى عرض متقن لأحداث الغرب . فبين مدى تقدم المعرفة الجغرافية التى أدت إليها الفتوح الرومانية ، ونستطيع أن نقول إنه أول من وصف العالم الرومانى .

ومع أن بوليبيوس كان من أبناء الجيل الفكرى فى الجزء الأخير من القرن الثالث ، فإنه عمر طويلًا حتى إنه وصف لنا أحداث النصف الثانى من القرن الثانى ، وتوفى فى الثانية والثمانين ، أى حوالى سنة ١٢٥ ق.م .

ويستحق ثلاثة رجال آخرين اهتمام مؤرخى الجغرافيا ، وهم : هيبارخوس ، وأرتيميدوروس ، ويودكسوس ، وهم ممن عاصروا بوليبيوس ، وكانوا أصغر منه سنًا .

هيبارخوس النيقى : (النصف الثانى من القرن الثانى ق.م) :

كان هيبارخوس فلكياً قبل أى شىء آخر ، وساعد بصفته هذه على إقامة الأساس الرياضى للمعرفة الجغرافية . ويستطيع الباحث أن يقول إن جدراة هيبارخوس كجغرافى هى إصراره على استخدام أساليب رياضية دقيقة فى تحديد الأماكن . ولكن كراهيته للفلكى إراتوستينس وارتبابه فى المعلومات الجديدة التى أمكن الحصول عليها منذ فتوح الإسكندر ، أفسدت منهجه هذا بعض الشيء . وكتب هيبارخوس كتاباً فى مهاجمة نظريات إراتوستينس ، لكنه ارتفع على حساب هذا الفلكى الكبير ، بدليل اقتناعه وموافقته التامة على جميع ما وصل إليه إراتوستينس من نتائج فيما يتعلق بحجم الأرض .

وحاول هيبارخوس أن يقيس خطوط العرض بتحديد النسبة بين أقصر أيام

السنة وأطولها ، بعكس طريقة البابليين التي تقيس الزيادة في أطوال النهار كلما اتجه الإنسان جنوباً بطريقة المتواليات العددية . وكان هيبارخوس أول من قسم الجزء المعمور من العالم إلى مناطق حسب مواقعها من خطوط العرض أو حسب الأحوال الجوية ، وذلك بتقدير خطوط العرض والطول بالنسبة لخطوط دائرية كبيرة مقسمة إلى ٣٦٠ درجة ، واستخدام هذه النسب بنظام لتحديد موقع كل منطقة من هذه المناطق . واقترح هيبارخوس لتحديد خطوط الطول معاينة الكسوف من أماكن متفرقة ، على قاعدة أن اختلاف التوقيت المحلي يدلنا على اختلاف خطوط الطول . وكانت هذه الطريقة ممتازة ، غير أن تطبيقها المنتظم كان يتطلب قدرًا من التنظيم السيامى العام ، وهو ما لم يكن موجوداً وقتذاك ، كما يتطلب قدرًا من التنظيم العلمى الذى لم يكن فى الإمكان تصوره فى عصره .

ليس لدينا ما يثبت أن هيبارخوس ترحل كثيراً بين البلاد . ولذا نسأل : من أين ، وكيف إذن حصل على معلوماته ؟ نحن مدينون إلى سترابون بالقليل مما نعرفه عن جهود هيبارخوس الشخصية ، ومن المحتمل أن جغرافية بطلميوس التي جمعت بعد هيبارخوس بثلاثة قرون ، اعتمدت على مادة جمعها سترابون .

أرتيميدوروس الأفيوسى^(٧) : (النصف الثانى من القرن الثانى ق.م) :

زادت المعلومات الجغرافية التي اهتمت إليها كل من أجاثرخيدس وهيبارخوس على يد أرتيميدوروس الأفيوسى الذى بلغ أوجهه فى نهاية القرن الثانى (حوالى ١٠٤ - ١٠٠ ق.م) . وسافر أرتيميدوروس إلى بلاد نائية حتى بلغ إسبانيا (وجاليا) غرباً ، واستقر فى الإسكندرية حيث كتب أحد عشر مؤلفاً جغرافياً . وفى مجال الجغرافيا الشرقية اعتمد هذا الباحث على أجاثرخيدس ، وأضاف إليه معلومات عن البحر الأحمر وخليج عدن . واعتمد فيما يتعلق بالهند على مؤلفى العصر الإسكندرى ولا سيما ميغاستينيس . وكان أرتيميدوروس يطمع فى تأليف كتاب يشمل العالم المأهول بأسره ، إذ قام مرتين بحساب طولهِ وعرضه

بدون مقاييس فلكية . . ويبدو أنه رفض حرص كل من إراتوستينيس وهيبارخوس على استخدام خطوط الطول والعرض ، وأظهر اهتماماً أكبر بالمسافات الجغرافية . ومعنى ذلك أنه اعتمد في عمل خرائطه على الرحلات والمقاييس الفلكية . ويجب عند الحكم على طريقته أن نذكر أن مقاييس خطوط العرض لم تكن دقيقة ، وأن مقاييس خطوط الطول كانت أكثر خطأ . ومع العلم بأن الخريطة التي تقوم على أساس الرحلات تكون من الناحية النظرية أقل دقة من خريطة تقوم على أساس النسب بين خطوط الطول والعرض ، فإنها في مجال التطبيق العملي لا تكون أسوأ كثيراً . ومن ناحية أخرى قلّت قيمة الرحلات كثيراً نظراً لعدم وجود شيء من أدوات الإرشاد المغناطيسي (٨) .

يودكسوس الكيزيكي (٩) :

يعتبر الشك قصة يودكسوس كما رواها سترابون بسبب غرابتها ، غير أني شخصياً لا أظن أنها بعيدة الاحتمال : ونخلصها أن هذا الرجل أرسلته مدينته كيزيكوس في بعثة إلى الإسكندرية ، وقابل حين إقامته هناك بحاراً هندياً ، وكان هذا البحار هو الوحيد الذي نجا من سفينة تحطمت على ساحل البحر الأحمر ، ولم تكن مثل هذه الحوادث نادرة ، لأن الصخور المرجانية في ذلك الساحل شديدة الخطورة . وحكى البحار الهندي مغامراته واقترح أن يتولى قيادة رحلة إلى الهند ، إذا جهز الملك سفينة لهذا الغرض ، وهو الملك بطلمبوس يوترجتيس الثاني ، أو فيسكون الذي امتد حكمه إلى سنة ١١٦ ق.م . وأمكن تحقيق ذلك الاقتراح والتحق يودكسوس بهذه السفينة ، التي أبحرت إلى الهند وعادت منها ، واستطاع الملك أن يستولى على حمولة السفينة الغالية ، لكن العائدين من البحارة أحضروا معهم شيئاً هاماً لم يستطع الملك أن يسلبه منهم ، وهو المعرفة بالرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، وهي الرياح التي تسهل الملاحة من باب المنذب في البحر الأحمر إلى خليج عدن وبحر العرب . وسوف نعود إلى هذه النقطة بعد قليل ، بعد الانتهاء من قصة يودكسوس .

ثم قام يودكسوس برحلة ثانية إلى الهند ، وفي هذه المرة أحضر معه حلية مأخوذة من مقدم سفينة ، واتضح أن السفينة جاءت أصلاً من مدينة فادس في إسبانيا . فاستنتج يودكسوس أن هذه السفينة لا بد أبحرت حول أفريقيا ، فقرر أن يفعل هو ذلك . فأبحر إلى قادس ثم اتجه جنوباً على طول الساحل الغربي لأفريقية ، غير أنه فقد في الطريق ، ولم يعرف أحد عنه شيئاً .

والواضح أن الجزء الأول من هذه القصة هو الجزء العظيم الأهمية ، وهو اكتشاف الرياح الموسمية^(١١) . إذ كان هذا الاكتشاف مما لا يمكن المبالغة في أهميته العالمية ؛ لأن السفر من البحر الأحمر إلى ساحل ملبار بالهند ، والعودة ثانية من الهند إلى البحر الأحمر أصبح ممكناً على خير وجه ، وذلك بالسير في اتجاه الرياح الموسمية ، مع العلم باستحالة السير في عكس اتجاهها . فهل اكتشافها يودكسوس أو غيره من أهل الغرب؟ ذلك أن اكتشافها ينسب عادة إلى هيالوس ، ولكن يختلف العلماء حول زمن هذا الاكتشاف ، فيقول بعضهم إن هيالوس عاش بعد الإمبراطور أغسطس ، ويقول آخرون^(١٢) إنه ينتمى إلى العصر البطلمي المتأخر . وبصرف النظر عن هيالوس ، يبدو من المحتمل أن سفن البطالمة المتأخرين أبحرت إلى الهند ، ولكن الرحلات الأولى المباشرة عبر المحيط الهندي إلى الهند الجنوبية لم تكن قبل سنى ٤٠ - ٥٠ بعد الميلاد^(١٣) . وبسط البطالمة المتأخرون سلطانهم على مضيق باب المندب ، وفي عام ٧٨ ق.م. - إن لم يكن قبل ذلك - كان القائد العام لمصر العليا هو أيضاً قبطان البحر الأحمر والمحيط الهندي . وزاد عدد الهنود في مصر أكثر من ذى قبل ، وأصبحت منتجات جنوب الهند أكثر وفرة في أسواق مصر وأوروبا مثل الفلفل . يضاف إلى ذلك أن اتجاه الملكة كليوباترا السابعة نحو التفكير في أن تترك البحر المتوسط وأن تحكم في المحيط الهندي دليل على أن التجارة مع الهند كانت نامية في عصرها (توفيت سنة ٣٠ ق.م.) ، علماً بأن هذه التجارة لم تكن لتنمو نمواً ذا بال دون الاستفادة التامة من الرياح الموسمية .

لنتنقل الآن إلى القرن الأول ق.م حين كان علماء الجغرافيا ثلاثة من كبار الشخصيات : بوسيدونيوس وسترابون وازيدوروس .

بوسيدونيوس الأفامى : (القرن الأول ق.م) (١٣) :

سبق لنا أن ذكرنا بوسيدونيوس مرات عديدة، وسوف يقابلنا اسمه مراراً فيما يلي ؛ إذ شملت ثقافته جميع ألوان المعرفة في عصره . لكن من الخطأ أن نقارن بينه وبين أرسطو ، أو أن نطلق عليه اسم أرسطو العصر الهلنستي ؛ لأن عظمة أرسطو لا ترجع إلى سعة معرفته بقدر ما ترجع إلى رجحان آرائه وصوابها . ومن المعروف أن بوسيدونيوس كان آخر العلماء الذين اتخذوا من المعرفة كلها موضوعاً للدراسة في عصر ما قبل الميلاد . غير أنه لم يتصف بشيء من عبقرية أرسطو في استنباط النظرية من الجزئيات . وبقدر ما نستطيع أن نحكم من الشذرات التي وصلت إلينا من مؤلفات بوسيدونيوس يبدو أن هذا الرجل كانت تغلب عليه نزعات من الخيال والتصوف ، ولعل من الأصوب أن نصفه بأنه كان أكثر الرحالة القدماء ذكاءً (١٤) ، وكانه ذلك فخرًا ، وكم من فضل قيم عند سترابون مأخوذ عنه .

وكتب بوسيدونيوس كتاباً في موضوع المحيط حيث أعاد فكرة إراتوستينيس من أنه ليس هناك سوى محيط واحد (١٥) . وسافر بوسيدونيوس كثيراً ، لا على امتداد سواحل البحر المتوسط فحسب ، بل أوغل في داخل البلاد مثل إسبانيا وجاليا وإنجلترا . وكانت له ملاحظات كثيرة تتعلق بالجغرافية البشرية والطبيعية ، وأقام بوسيدونيوس شهراً كاملاً في قادمس ، حيث درس ظاهرة المد والجزر ، وكان من أوائل من أرجع هذه الظاهرة إلى تأثير الشمس والقمر ، كما لفت النظر إلى اختلاف ارتفاع المد في حالة اكتمال القمر وفي حالة التربيعين . ودرس بوسيدونيوس ظاهرة الزلازل والبراكين وظهور جزيرة بركانية جديدة في مجموعة جزر الليباري أو الجزر الأيولية (شمالى صقلية) . كما زار مناجم جنوب

إسبانيا وجماليا ، ووصف ممراتها ومصارف مياهها . وشهد بوسيدونيوس ظاهرة صخور الملح ، ووصف سهل كراو بالقرب من مصب الرون ، كما لاحظ وفرة الحصى المستدير المنتشر هناك ، ويمكن جمع هذه التفصيلات وأشباهاها من جغرافية سترابون ، الذي اقتبس منه كثيراً .

وحاول بوسيدونيوس أن يدخل تحسيناً على تقدير إراتوستينس لحجم الأرض ، بأن أنقص خطأ طول محيطها من ٢٥٠٠٠ إلى ١٨٠٠٠ فرسخ ، ومن ناحية أخرى بالغ بوسيدونيوس في تقدير طول قارة أوراسيا ، وذكر أنه إذا أبحر رجل من ساحل الأطلنطي غرباً إلى مسافة ٧٠٠٠ فرسخ فإنه يستطيع بذلك أن يصل إلى الهند . وكان لهذا الخطأ نتائج بعيدة المدى ، إذ ظهر هذا الخطأ في صورة أو أخرى في مؤلفات سترابون وبطلميوس وروجر بيكون وبييرد إلى (عام ١٤١٠ م .) ، كما زاد من تفاؤل كولومبوس ، وكان السبب في اكتشافه للعالم الجديد ، لا الأطراف الشرقية من قارة أوراسيا .

سترابون الأمامي (القرن الأول ق. م .) :

التعريف الصحيح بالجغرافي سترابون هو أنه مؤلف كتاب « الجغرافيا » ، وكل ما نعرفه عنه مستمد من هذا الكتاب الذي يعد أهم مؤلفاته ، وهو الكتاب الوحيد الذي بقي لنا من هذه المؤلفات ، ونستنتج منه أن سترابون ولد حوالي عام ٦٤ ق.م في مدينة أماسيا^(١٦) ، التي يفرد لها وصفا يدل على محبته لهذه المدينة . وينتمي سترابون إلى أسرة ذات شأن ، عمل بعض أفرادها في خدمة ملوك بنطس وهم : مثراداتيس الخامس يوترجيتيس ومثراداتيس السادس يوباتور ، حيث كانوا قادة عسكريين وحكاماً وكهنة للالهة ما (بيلونا) . وتنحدر أسرة سترابون من فرعين مختلفين ، يوناني وأسيوي ، ولكن كان سترابون يونانياً محضاً في لغته وعاداته . ولا بد أن أسرته عاشت في رغد من العيش مما مكنه من أن ينال قسطاً وافراً من التعليم . وبعد أن أتم سترابون مراحل التعليم الأول في البيت أرسل إلى نيسا (بالقرب من مدينة تراليس في إقليم كاريا) ،

حيث درس النحو والأدب على يد أريستوديموس . وفي سنة ٤٤ ق.م (وهو في العشرين من عمره) ذهب سترابون إلى روما لمتابعة دراسته العليا . وتلمذ على أيدي تيرانيون الأميموسى^(١٧) ، وهو العالم التحوي والجغرافى (ولعل هذا العالم هو الذى أجاز لاسترابون الاشتغال بالجغرافيا) . وكان من أساتذة سترابون كذلك كسينارخوس السليوكى فى إقليم قيايقية ، وهو أحد الفلاسفة المشائين . وعرف سترابون عدداً من الرواقيين أمثال بوسيدنيوس وبؤيتوس^(١٨) الصيداوى وأثينودوروس الطرسوسى فى قيايقية . ولذا صار سترابون رواقياً متحمساً للرواقية ، وأدرك ضرورة الأساطير والطقوس والأسرار الدينية لعامة الناس ، ولكن ديانته هو كانت « الرواقية » .

كان سترابون رحالة عظيماً ، ولكن ليس بالقدر الذى يوحى به كتابه « الجغرافيا » أو ما يذكره هو عن نفسه (انظر سترابون - ج ٢ ، ف ١١ ، ٥)^(١٩) وسافر سترابون من أرمينيا شرقاً إلى إيطاليا غرباً ، وزار بلاد اليونان (على الأقل كورنثه) ومصر - حيث صعد فى النيل حتى أطراف إثيوبيا ، وكان سترابون على معرفة واسعة بكثير من بقاع آسيا الصغرى ، واستمد الكثير من معلوماته من الكتب ، أى الكتب اليونانية ، إذ أن ما كان من الكتب الجغرافية بلغات أخرى قليل فى هذا المجال .

ويشير سترابون فى كتاب الجغرافيا إلى بعض مراحل حياته : فكان فى روما فى سنة ٤٤ كما كان بها فى سنوات تالية ، ٣٥ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٧ ق.م وأقام سترابون فى مصر من سنة ٢٥^(٢٠) إلى سنة ٢٠ أو بعد ذلك . وحصل سترابون على الكثير من معلوماته فى مكتبة الإسكندرية (إذ لا يمكنه فى غيرها أن يحصل على جميع ما احتاج إليه من مؤلفات) . وعاش سترابون متمتعاً بمجده فى عصر الإمبراطور أغسطس كله وبداية حكم تيريروس (١٤ - ٣٧ م) . ومن المحتمل أنه أمضى أعوامه الأخيرة فى بلدته أماسيا ، ومات فى سنة ٢١ م . أو بعد ذلك .

وَأَلْفَ سْتَرَابُونِ كِتَابَيْنِ عَظِيمَيْنِ : أَحَدُهُمَا فِي التَّارِيخِ ، وَهُوَ مَفْقُودٌ ،

وثانيهما في « الجغرافيا » ، وهو الذى وصلنا كاملات تقريباً ، ويعد هذا الكتاب أحد أعلام التراث القديم . وهو مقسم إلى سبعة عشر جزءاً ، مشتملة على وجه التقريب على ما يأتى :

١ - ٢ مقدمة . وهى تاريخية إلى حد ما ، حيث يتتقد هوميروس وإراتوستينيس ، ويناقدش بوليبيس ، ويوسيدونيوس ويودكسوس الكيزيكى ، كما يتحدث عن الجغرافيا الرياضية وشكل الأرض ورسم الخرائط على سطح كروى وسطح مستو . ويصر على القول بوجود محيط واحد فقط ، بدليل حدوث المد والجزر فى كل مكان ، وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يبحر من إسبانيا إلى جزر الهند الشرقية (ك ١ ، ب ١ ، ف ٨) .

٣ - إسبانيا وجزر كاستيريدس .

٤ - جاليا وبريطانيا وغيرهما .

٥ - إيطاليا الشمالية والوسطى .

٦ - جنوب إيطاليا وصقلية . الإمبراطورية الرومانية .

٧ - أوروبا الوسطى والشرقية (الجزء الأخير من هذا الجزء مفقود) . (٢١)

٨ - جزائر البلوبونيز .

٩ - اليونان الشمالية .

١٠ - الجزر اليونانية .

١١ - منطقة البحر الأسود ، وبحر الخزر وجبال طورسوس وأرمينيا .

١٢ - ١٤ آسيا الصغرى .

١٥ - الهند وفارس .

١٦ - بلاد ما بين النهرين وسوريا وبلاد العرب وساحل إثيوبيا .

١٧ - مصر .

وهذا الكتاب دائرة معارف جغرافية ، وتختلف أجزاءه بالضرورة من حيث القيمة العلمية . وتوجد حول جغرافية سترابون مؤلفات حديثة كثيرة ، وأكثرها أهمية بحوث قام بها علماء تخصصوا في دراسة مختلف الأقاليم . وليس هنا مجال إعادة الحديث من هذه الدراسات ، فهي كثيرة جداً .

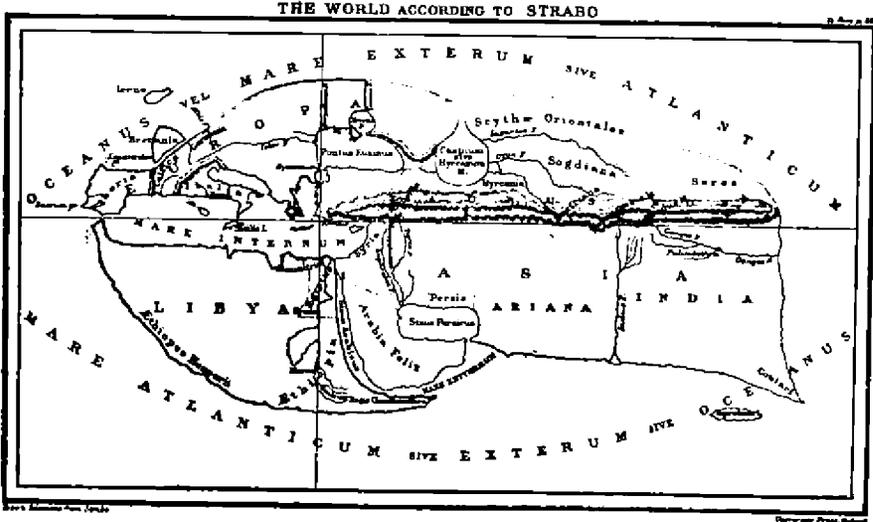
ولنتصر على بحث بعض الأسئلة العامة ، أولاً ، ما هو هدف سترابون؟ المعروف أنه أراد أن يكتب وصفاً جغرافياً للعالم ، ولكن نظراً لأن تعليمه الأصلي كان أدبياً بحتاً ، فإنه لم يحفل بالجغرافيا الرياضية ، التي ازدهرت دون معرفة كافية بها ، ودون فهم حقيقي لمشكلاتها . ومن ناحية أخرى كان سترابون شديد الاهتمام بالناس ، وغلب عليه التفكير الفلسفي ، فالجغرافيا عنده طبيعية ، ومع ذلك كان الطابع البشري والتاريخي والأثرى أكثر ظهوراً ، إذ أراد أن يقدم لقراءه فكرة عامة عن مسطح الأرض ، أي طبيعتها (من حيث الأنهار والجبال وما إلى ذلك) ، ثم اختلافات أقاليمها ، وبعد ذلك يشرح كيف عاش الناس في كل إقليم ، وأي نوع من الناس هم . وتضمن ذلك عرضاً للتقلبات والتغيرات التي طرأت عليهم وأعمالهم ، وذكراً للمدنهيم (ومتى أسست ؟) فضلاً عن الطرق ، والمسالك والمعالم العامة ، وعظماء الرجال .

ونظراً لكونه رواقياً ، تقبل سترابون المبادئ العامة فيما يختص بعبادة النجوم ، ولكنه لم يتطرق في اعتناق مذهب التنجيم ، وليس هناك ما يثبت أنه اعتقد في الجمينثليا لوجيا ، أي قراءة الطالع تبعاً للأفلاك السماوية . بل كان ملمماً بما قام به المصريون وكهنة الكلدان من دراسات فلكية (٢٢) .

وذكر أن الفينيقيين أهل مدينة صيدا هم الذين نقلوا مبادئ علم الفلك والحساب إلى اليونان (٢٣) .

وفي مجال السياسة كان سترابون متحيزاً قطعاً لجانب روما ، إذ أدرك أن عصر الإمبراطور أغسطس جلب للعالم عناصر السلام والوحدة (انظر ج ٦ ، فصل ٤ ، فقرة ٢) ، بدليل أن ذلك العصر قضى على القرصنة التي كانت متفشية في شرق البحر المتوسط ، واستتب الأمن للسفر والتجارة فضلاً عن

الرخاء . وكان سترابون فخوراً بشرقيته ، ولم يترك مناسبة دون أن يذكر العلماء الذين ولدوا في الشرق ، وبرغم إعجابه الشديد بالحكومة الرومانية ، فإنه لم يحفظ أي احترام للعلماء الرومان (وله العذر في ذلك) .



شكل ٨٠ - خريطة العالم كما تصورها سترابون (في القرن الأول ق . م .)

وتوجد مناقشات كثيرة حول تاريخ كتاب الجغرافيا . ولعل الجزء الأكبر من المعلومات الواردة بهذا الكتاب كانت من جمع سترابون قبل أن يغادر الإسكندرية (حول عام ٢٠ ق.م.) ، ثم انتهى سترابون في سنة ٧ ق.م . من النسخة الأولى من هذا الكتاب . ولم يستخدم خريطة الجغرافي أجريبا ، التي لم تكن نشرت بعد في ذلك العام . أما قائمة الولايات الرومانية الواردة في آخر صفحة من هذا الكتاب ، فقد قام سترابون بكتابتها في تاريخ لا يتجاوز سنة ١١ ق.م . ، ثم راجعها بنفسه سنة ٧ ق.م . وهو بعيد عن روما . ثم راجع سترابون الكتاب كله في مدينة أماسيا حوالي عام ١٨ م ، كما هو واضح من ذكره للإمبراطور تيبيريوس (الذي ابتدأ حكمه سنة ١٤ م.) في حوالي عشرين موضعاً من هذا الكتاب .

وكان سترابون مدركاً لضخامة كتابه ولأهميته ، حتى أطلق عليه وصف

التأليف الضخم ، وكان كذلك ، حتى إن الباحث لا يستطيع إلا أن يسأل كيف أمكن لرجل واحد أن ينجز مثل هذا العمل الكبير . الواقع أن عملا في مثل حجم هذا الكتاب في زماننا نحن لا يمكن إلا أن تقوم به أكاديميات أو جامعات ويشرف على تنفيذه مديرون ، يشرفون على عدد من العلماء والمساعدين ، ويستخدمون أنواعاً شتى من الأدوات الحديثة . ومن حسن حظنا أن لدينا بفضل سترابون هذا الوصف الجغرافي المستفيض للعالم الغربي زمن الإمبراطور أغسطس ، مضافاً إليه كمية كبيرة من المعلومات التاريخية والأثرية والبشرية ، وكذلك أخبار التجارة والصناعة ، وجوانب أخرى .

ولم يتخيل سترابون أفراد قرائه على أنهم جماعة من علماء الجغرافيا ؛ لأن أمثال أولئك لم يكونوا وجدوا بعد ، ولكنه تخيلهم من الساسة ورجال الأعمال ، وغيرهم من المتعلمين في عصره (انظر ج ١ ، فصل ١ ، فقرة ٢٢ - ٢٣) ، ولذا كان هؤلاء القراء قليلين ، ولكنهم كانوا رجالا على جانب كبير من الذكاء بحيث لا يقلون عن خير رجال عصرنا .

وبرغم أن سترابون لم يكن عالماً طبيعياً ، فإن تبحر قرائته تصف كثيراً من الحقائق الطبيعية الهامة التي يتناولها هو بروح ناقدة . ومثال ذلك أن سترابون فسّر تكوين الجبال بفعل حركات الضغط الداخلية ، وأن وادي تجمي في إقليم تساليا ببلاد اليونان نتج عن زلزال . وكان سترابون يعتقد أن السبب في الظواهر البركانية هو القوة المتفجرة في الرياح الحبيسة داخل الأرض ، واعتبر البراكين نوعاً من صمامات الأمن^(٢٤) . وأرجع سترابون ظهور جزر البحر المتوسط إلى انفصال عن جسم الأرض بواسطة الزلازل أو بفعل البراكين ، وقصد بذلك جزر الليباري ، شمال شرق صقلية . وكرر سترابون من جديد وبوضوح تام النظرية القديمة القائلة بأن الأرض والبحر كثيراً ما تبادلوا موقعيهما ، ودلل على ذلك بعدد من الأمثلة التي زالت فيها مساحة من الأرض ، والتي ارتفعت فيها مساحات أخرى . وبعض هذه الأمثلة محدود بمكان معين ، وبعضها الآخر واسع الانتشار . فمثلاً عند الحديث عن واحة آمون يقول : « كان معبد آمون

من قبل عند ساحل البحر ، ولكنه الآن في الداخل ، بعد أن انحسر عنه الماء (٢٥) .
ويذكر سترابون أن وجود بقايا أصداف متحجرة في أماكن مختلفة يثبت أن
الأراضي في مصر السفلى حيث توجد هذه البقايا كانت في الماضي مغمورة
بالماء . ويرجع سترابون السبب في زوال بعض المساحات الأرضية إلى الزلازل ،
وأن ظاهرة أخرى مثل هذه تستطيع أن تقضى على برزخ السويس وتفتح
الطريق بين البحر المتوسط والبحر الأحمر (٢٦) . ويسجل سترابون ملاحظات
عديدة عن القوة التحاتية للماء ، وعن التراكبات الطميية عند مصبات الأنهار
أو على امتداد مجراها . ويحدثنا سترابون كذلك عن صناعة الملح واستخراجه
من عيون المياه المعدنية ، وعن مناجم الفضة في إقليم لوريون ، وصناعة الزجاج
في الإسكندرية ، وصناعة السواقي ، وبناء المزلق الذي تتحرك فوقه السفن
في برزخ كورنثه ، كما يحدثنا عن القناة القديمة التي تصل النيل بالبحر الأحمر ،
وهي القناة التي كانت تنهى عند ميناء أرسينوى ، وكانت تغلق بواسطة بوابة
مزدوجة للوقاية على سبيل الاحتياط من تغير التيار والسماح بمرور السفن في
الاتجاهين .

لم يكن سترابون أدبياً فناناً ، ولكنه أتقن فن الكتابة كما يمكن أن يتقنه عالم ؛
وكان واسع الثقافة . صحيح اللغة ، واضحاً دون أن يسمى إلى المحسنات
اللفظية . وقد يجده أصحاب الذوق الأدبي مملاً يسير على وتيرة واحدة ، ولكن
مما لا شك فيه أنه اجتهد في تأليفه أصدق الاجتهاد ، وبذل أقصى ما يستطيع
ليدخل عليه التنوع ، وليعطى قارئه الكثير من القصص مما يتفق والغاية الصارمة
التي ارتسمها لنفسه . ويتفوق كتاب سترابون كثيراً من ناحيتي الأسلوب والمضمون
عن الجزء الجغرافي من كتاب بليني عن التاريخ الطبيعي .

وذكر سترابون أن أرسطو كان أول من اقتنى الكتب ، وأن ملوك مصر
احتدوا حدوه بعد ذلك (٢٧) . وهذه العبارة صحيحة في جملتها ، لأنه ربما لا
يكون أرسطو أول من اقتنى كتباً (وما معنى ذلك ؟ وكم كتاباً يجب أن يمتلك
الفرد ليصبح صاحب مكتبة ؟) ، ولكن مما لا شك فيه أنه بفضل تأثيره - وهو

التأثير الذي انتقل إلى مصر بواسطة ديمتريوس الفاليري وستراتون - قرر البطلمة الأولون تأسيس مكتبة الإسكندرية .

وتفوقت دراسات سترابون تفوقاً كثيراً على أسفاره ، إذ قرأ جميع الأدب اليوناني الذي وصل إلى يده ، مبتدئاً بقصائد هوميروس . وكان شديد الإعجاب به ، شأنه في ذلك شأن جميع اليونان . وبالغ سترابون في تقدير القيمة الجغرافية لعقيدة الأوديسة ، مع العلم بأن إراتوستينس كان يميل إلى التقليل من هذه القيمة . على أن أغنى مصادر سترابون هو معاصره الذي يكبره ، واسمه بوسيدونيوس . وسترابون هو الذي حفظ للأجيال التالية تقدير بوسيدونيوس الخاطي عن حجم الأرض .

ونظراً لما لكتاب « الجغرافيا » - وهو كتاب فريد في نوعه - من قيمة عملية هائلة للسانة ورجال الإدارة في الإمبراطورية الرومانية ، فإننا نعجب لقلّة ما لقي سترابون من اهتمام القدماء به . هل كان ذلك لإخفاء النسخ الأولى من هذا الكتاب بواسطة أصحابها لا استخدامها في الأغراض العملية ، وليس للأغراض العلمية ؟ وليس هناك - فيما أرى - تفسير آخر . ذلك أن المؤرخ يوسيفوس هو الوحيد الذي عرف هذا الكتاب . على حين لم يعرفه أحد من اليونانيين ولا بطلميوس نفسه ، ولا عالم روماني حتى بلييني ، رغم صعوبة تصور ذلك . وربما يكون هذا الإهمال لاسترابون من ناحية القدماء هو السبب في عدم وجود ترجمة عربية له ، إذ بقي سترابون مجهولاً للجغرافيين المسلمين ومؤرخيهم .

ثم حدث في العصر البيزنطي أن اكتشف كتاب الجغرافيا على يد ستيفانوس البيزنطي (في القرن السادس) . واستخدمه يوستاثيوس التسالونيكي (في القرن الثاني عشر) ومكسيموس بلانوديس (في القرن الثالث عشر) . غير أن أقدم مخطوط وصل إلينا هو المخطوط الباريزي رقم ١٣٩٧ ، ويحتوي الأجزاء العشرة الأولى فقط ، أما الأجزاء السبعة الأخيرة فصدرها ثلاث مخطوطات متأخرة ، وهي مخطوطات الفاتيكان رقم ١٣٢٩ ، ومختصر الفاتيكان ، والبندقية رقم ٦٤٠ .

أما بداية طبع هذا الكتاب فترجع إلى جوارينو الفيروني (١٣٧٠ - ١٤٦٠ تقريباً) وهو الذي أحضر معه من القسطنطينية مخطوطة يونانية . وترجم منها الأجزاء العشرة الأولى إلى اللاتينية، أما الجزءان ١١ - ١٢ فقام بترجمتهما جريجوريو تيفرماس . وتم طبع الكتاب كله بواسطة سوينهيم و بانارتز في روما سنة ١٤٦٩ (انظر شكل ٨١) ، وأعيد طبعه خمس مرات قبل عام ١٥٠٠ . وهي البندقية ١٤٧٢ ، وروما ١٤٧٣ ، وترينيمزو ١٤٨٠ ، والبندقية ١٤٩٤ و ١٤٩٥ . وقام بطبع المخطوط اليوناني الأصلي ألدوس ، بالبندقية ١٥١٦ (انظر شكل ٨٢) ، كما قام فلهم كسيلاندر بإعداد طبعة لاتينية منقحة (بال - هنر يفوس بترى ١٥٧٠) ، وكانت هذه الطبعة اللاتينية أول الطبعات الجيدة من هذا الكتاب .

ثم نشر إسحاق كازوبون النص اليوناني مرة أخرى ، وأضاف إليه ترجمة كسيلاندر (جنيف ١٥٨٧) . وكذلك قام يانسون دي أميلوفين الهولندي بطبعة أخرى ممتازة (أمستردام ١٧٠٧) .

ونشر أديمانتوس كوريه نصًا يونانيًا جديدًا في أربعة مجلدات ، باريس ١٨١٥ - ١٨١٩ (انظر شكل ٨٤) ، ومعه ترجمة فرنسية في خمسة مجلدات ، باريس ١٨٠٥ - ١٨١٩ (انظر شكل ٨٥) . وكانت هذه الترجمة بناء على أمر نابليون ، واشترك فيها ثلاثة من علماء فرنسا هم : لا بورت دي تيل وليترون وجوسلان .

أما أحسن طبعة من هذا الكتاب فهي التي قام بها أغسطس مينيكه ، وهي التي نشرها توينبر (لبيزج ١٨٥٢ - ١٨٥٣) ، وأعيد طبعها مراراً في ثلاثة مجلدات .

أما الطبعة اليونانية الإنجليزية في سلسلة لويب الكلاسيكية . فابتدأها جون روبرت ستلنجتون . وأتمها هوراس ليونارد جونز (ثمانية مجلدات - ١٩١٧ - ١٩٣٢) .

وهذه المعلومات مستمدة من المصادر التالية التي اعتمد عليها المؤلف هنا
في دراسة تاريخ كتاب الجغرافيا لسترابون ، وهي :

Marcel Dubois, Examen de la geographie de Strabon (416 pp., Paris :
Imprimerie Nationale, 1891),

وفيه يعرض لما ظهر من كتب تتعلق بدراسة سترابون حتى سنة ١٨٩٠ .

Ernst Honigmann, in Pauly-Wissowa, Real-Encyclopadie (2) 7,
76 — 155, 1931

Henry Fanshawe Tozer, Selections from Strabo (388 pp., 6 maps;
Oxford : Clarendon Press, 1893); Selections in Greek with notes.

إيزيدورس الخاراكسي (٢٨) :

نستطيع أن نختتم القسم اليوناني من هذا الفصل بكلمة موجزة عن إيزيدورس
هذا (في نهاية القرن الأول ق.م.) ، وكان معاصراً لاسترابون ، ولو أنه يستحيل
علينا أن نقول إنه ظهر قبل ميلاد المسيح أو بعده ، ومن الأسهل علينا أن نعهده
من الجغرافيين من عصر الإمبراطور أغسطس ، بل لعله قام بعمله بتكليف
من أجريبا . على أن سترابون لم يذكر إيزيدورس في جغرافيته ، ولكن بليني
حفظ لنا فقرات من كتاب إيزيدورس الذي عنوانه وصف العالم ، كما حفظ
لنا أثينيوس النقراطيسي فقرة من كتابه «رحلة حول بارثيا» ، وهي فقرة خاصة
بصيد اللؤلؤ . ولدينا نص كامل لكتاب إيزيدورس الذي عنوانه «محطات
السفر في بارثيا» ، وهو كتاب يصف طريق القوافل من أنطاكية إلى الهند (٢٩) .
وهو دليل طيب لإرشاد المسافرين والتجار وموظفي الدولة ، ومن نوعه جمعت
بضعة كتب في عصر الإمبراطور أغسطس ، وسوف نعود للحديث عنها
عند ذكر أجريبا فيما يلي .

علم الجغرافيا عند اللاتين

يقول عدد ما وصلنا من المؤلفات اللاتينية كثيراً عن عدد المؤلفات اليونانية، وتبدأ المؤلفات اللاتينية في الظهور في نهاية عصر ما قبل ميلاد المسيح . وسنبداً حديثنا بشخص على جانب كبير من الأهمية وهو يوليوس قيصر .

يوليوس قيصر :

سوف نبحث في الفصل الرابع والعشرين كتب يوليوس قيصر المعروفة باسم التعليقات (حوالي ٥٢ - ٥٠ ق.م.)، ولكن ينبغي أن نتحدث هنا عن أساسها الجغرافي. وهذا عسير ، لأن معلومات يوليوس قيصر الجغرافية قليلة، والفقرات التي تتضمن قدرًا من الجغرافيا يقال إنها إضافات كتبت بعد قيصر. ويقال كذلك إن قيصر استخدم « مساعد بحث » له في كتابة بعض الفقرات الجغرافية الخاصة ببلاد الجرمان وغابة هركينيا^(٣٠)، وأنها مأخوذة عن جغرافيين يونانيين ، ولا ينبغي أن يثير ذلك في صدورنا شيئاً من الخلط ، فإن مساعدى البحث لا يتوقعون الاعتراف بجهودهم . أما موضع الأهمية فهو أن الكثير من معلومات يوليوس قيصر مأخوذ عن كتب يونانية، سواء قام هو بذلك - وكان يعرف من اليونانية ما يمكنه من ذلك - أو بمساعدة كاتب . على أن أهم مصادره من الكتب الجغرافية هي إراتوستينيس وبوليبيوس وبوسيدونيوس، وإلى جانب ذلك حصل يوليوس على قدر كبير من المعلومات من أهل البلاد التي نزل بها ، سواء أكان أولئك من الأسرى أم من غيرهم ، لأن أسماء الأماكن والقبائل كانت مستقاة من مخبرين محليين ، ويذكر شيشرون أنهم كانوا من الكثرة حتى إنه في كل يوم كانت تأتي إليه أخبار جديدة بأسماء لم تكن معروفة من قبل^(٣١) .

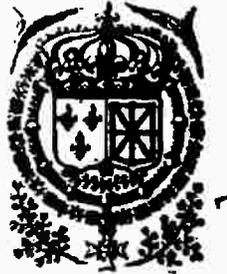
STRABONIS RERVM GEO- GRAPHICARVM LIBRI XVII. *Geographica*

ISAACVS CASAVBONVS recensitor, summoque studio
& diligentia, ope etiam veterum codicum, emendatus, ac
Commentariis illustratus, & fecundis curis ornatus
exortavit, per hunc primum prodire.

adductis et ceteris *GYLIELMI XYLANDAI adpugillani Latine
lingua ab eodem Casavbono versis.*

Accessit FR. MORILLI Proficuum Reg. Ducum, in rebus Geographicis
Obedientissimus.

Admodum honorabilis et venerabilis homo, GYSEP. GOTTFRIDUS, Geographica
peritissimus, et ceteris ISAACI CASAVBONI commentis.



Luxemburgi, Typis Regiis.

M. DCXX.

• CVM PRIVILEGIO REGIS CHRISTIANISSIMI. •

شكل ٨٣ - الطبعة اليونانية اللاتينية
من كتاب الجغرافيا لسترابون، وهي التي
قام بها إسحاق كازوبون (باريس ١٦٢٠).
سبق لكازوبون أن نشر طبعة يونانية
لاتينية قبل تلك الطبعة (جنيف ١٥٨٧)،
مستخدماً الترجمة التي قام بها جيليموس
كسيلاندر. غير أن هذه الطبعة على أية
حال جديدة، وتعتبر أحد المعالم الأساسية
في الدراسات الاسترابونية. وكثيراً ما
احتفظت طبعات لاحقة بأرقام صفحات
هذه الطبعة. على حين رأى بعض
الناشرين الآخرين ترقيم صفحات سترابون
حسب طبعة أمستردام. ومثال ذلك، بداية
الجزء الثاني تصبغ (A 117 - C 67).
(وهي مجلد ثقيل جداً وطوله ٣٥ سم وسمكه
٨ سم بدون الغلاف) ويضم هذا الجزء
جميع النص اليوناني مع ترجمة أكسيلاندر
اللاتينية في عمودين متقابلين (في ٨٤٣
صفحة)، وملحق بها فهرس مستفيضة،
وتأتي أخيراً شروح وتصويبات كازوبون
(في ٢٨٢ صفحة)، ولها فهرس خاص بها.

من العسير علينا أن نتصور أن يوليوس قيصر قام بغزواته وحملاته
بغير خرائط، لأننا ندرك تمام الإدراك مدى أهمية استخدام الخرائط
بحيث لا نكاد نتصور سفيراً بغير خريطة. أما يوليوس قيصر ومعاونوه
فكان لديهم فكرة عامة عن كل بلد من البلاد التي اتجهوا إليها، ومثال ذلك
بلاد الجبال. حيث حصلوا على مزيد من المعلومات من مصادر محلية
كلما تقدموا في السير فيها. وكان بعض هذه المعلومات يتعلق بقبائل
لا نستطيع حتى الآن تعيين موقعها على الخريطة، لأن إقليم كل قبيلة
لم يكن ثابتاً، فقد يتسع أو ينكمش حسب الظروف السياسية، وكان
يتغير بعض الشيء بصورة مستمرة بتغير فصول السنة.

سبق لبلاد الجبال أن زارها كل من يوليوس وبوسيدنيوس ، ولكن فتح يوليوس قيصر لها (٥٨ - ٥٠ ق.م) زاد معرفة الرومان كثيراً بأرجائها ، إذ كان ذلك أشبه باكتشاف عالم جديد ، ملء بكل جديد . وسبق للرومان أن استعمروا جزءاً من جاليا وهو بروفانس الحالية . ولكن يوليوس قيصر فتح جميع الأراضي التي سكنها الجاليون والكلتيون . وفي عصر أغسطس قيصر قسمت جاليا إلى أربع ولايات : وهي بروفانس الحالية ، وسميت جاليا الناربونية (حول مدينة نابون) ، ثم أقاليم جاليا الثلاثة التي فتحها يوليوس قيصر ، وهي : جاليا الأكويتانية ، وتقع بين جبال البرانس ونهر اللوار ، ثم جاليا اللجدونية ، وتقع بين نهر اللوار ونهر السين ونهر السون وهي حول مدينة ليون ، ثم جاليا البلجيكية شمالي نهر السين بين نهرى السون والراين . وتمثل هذه الأقاليم الثلاثة من جاليا الشعوب الثلاثة الرئيسية التي أخضعها يوليوس قيصر للحكم الرومانى ، وهي الأكويتانيون فى الجنوب ، والكلتيون أو الجاليون فى الوسط ، والبلجيكيون فى الشمال . كان يوليوس قيصر على علم تام بالأشهار الرئيسية التي سبق أن ذكرناها ، فضلاً عن معرفته بنهرى الجارون والمارون ، وكذلك سلسلة جبال سيفن فى الجنوب وجبال الجورا والفوج فى الشرق ، وغابة الأردن فى جاليا البلجيكية . وكانت لديه ثروة كبيرة من المعلومات التفصيلية ، فكثير من أسماء الأماكن والقبائل التي نعرفها الآن فى صورتها الحديثة ظهرت لأول مرة فى « تعليقات يوليوس قيصر » .

وأمدنا يوليوس قيصر كذلك بما نستطيع أن نسميه الآن معلومات خاصة بجغرافية الأجناس ، وهي معلومات تتعلق بعادات الناس وتقاليدهم .

وغزا يوليوس قيصر بريطانيا مرتين ، فى سنة ٥٥ وسنة ٥٤ ، وأغار على جرمانيا كذلك مرتين فى سنة ٥٥ وسنة ٥٣ . ووصف شكل بريطانيا الجغرافى المثلث ، وقدر حجمها تقديراً جيداً ، وذكر جزيرة هيبيرنيا أو إيرنى وهي أيرلندا الحالية ، وأن هذه الجزيرة تبلغ نصف حجم بريطانيا ، وتقع غربها ،

GÉOGRAPHIE
DE
STRABON,

TRADUITE DU GREC EN FRANÇAIS.

TOME PREMIER.



A PARIS,
DE L'IMPRIMERIE IMPÉRIALE

AN XIII. = 1804.

شكل ٨٥ - صفحة العنوان من الجزء الأول من الترجمة الفرنسية لاسترابون ، وهي التي قام كوراييس بترجمتها بناء على تكليف من نابليون وتحت رعايته، واشترك في هذه الترجمة دلابورت دي تيل ولترون وجوسلان (خمسة أجزاء ، ٢٩ سم ، باريس ١٨٠٥ - ١٨١٩) ، وهذه الترجمة مذيبة بشرح مستفيضة وخرائط . وصدرت الأجزاء الثلاثة الأولى منها (١٨٠٥ - ١٨١٢) من المطبعة الإمبراطورية بباريس ، والجزءان الرابع والخامس (١٨١٤ - ١٨١٩) من المطبعة ذاتها التي أطلق عليها حينئذ اسم المطبعة الملكية .

ΣΤΡΑΒΩΝΟΣ
ΓΕΩΓΡΑΦΙΚΩΝ

ΒΙΒΛΙΑ ΕΠΤΑΚΑΙΔΕΚΑ,

ΣΧΕΔΙΩΝΤΟΣ ΚΑΙ ΔΙΟΡΘΟΥΝΤΟΣ Α ΚΟΡΑΙΟΥ,

Φιλότητος Θεσπιάς τῆς ἑραρυδῶς Χίτου, ἐπ' ἀγαθῶν τῆς Ελλάδος.

ΜΕΡΟΣ ΠΡΩΤΟΝ.



ΕΝ ΠΑΡΙΣΙΟΙΣ,

ΕΚ ΤΗΣ ΤΥΠΟΓΡΑΦΙΑΣ Ι. Μ. ΕΒΕΡΑΡΤΟΥ.

DE TROUVE,

CHEZ THÉOPHILE BARBOIS, FÈRE, LIBRAIRE, RUE HAUTEFEUILLE, N. 11.

MDIΣ.

شكل ٨٤ - صفحة العنوان من المجلد الأول من طبعة سترابون التي أعدها آدمانتويوس كوراييس ، ونشرت في أربعة أجزاء (باريس ١٨١٥ - ١٨١٩) . كان كوراييس من مدينة إزمير ، وكان عالماً ومواطناً يونانياً (١٧٤٨ - ١٨٣٣) وعاش في باريس منذ ١٧٨٨ ، وهو أحد المؤسسين الفكريين لليونان الحديثة . انظر المجلد الأول من كتاب تاريخ العلم ، ص ٣٦٩ من الأصل الإنجليزي .

وكان يوليوس قيصر أول من لاحظ جزيرة مان^(٣٢)، أما معرفته ببلاد الجرمان فكانت أكثر غموضاً، كما سبق أن لاحظنا في وصفه غابة هيركينيا، وذلك لأن معلوماته لم تتعد أعلى نهر الراين، وقليلاً من أعلى نهر الدانوب^(٣٣).

والخلاصة أن تعليقات يوليوس قيصر تمدنا بعدد كبير من الأسماء الجغرافية والبشرية، ولكن لا ينبغي أن نتوقع منها معرفة جغرافية دقيقة، لأن تلك المعرفة لم تكن غايته، ولم يسع هو للحصول عليها.

ولم يكن يوليوس قيصر مدركاً لضرورة المعرفة الجغرافية، كما أدركها الإسكندر الأكبر، كما أن الأرض التي خرج ليكشف معالمها ويفتحها ويستعمرها كانت أصغر حجماً وأقل غموضاً.

وكان يوليوس قيصر أول قائد روماني يعبر نهر الراين. وكان القائد الروماني الثاني دروسوس^(٣٤)، الذي عينه أغسطس قيصر في سنة ١٣ ق.م والياً على جاليا الرومانية. وفي سنة ١٢ قام دروسوس بعمل إحصاء عام. وبني في ليون هيكلًا لروما ولأغسطس. وفي ذلك العام أمره أغسطس بأن يغزو جرمانيا، وتم ذلك من الناحية الشمالية لبلجيكا (باتافيا وهولندا). وكانت القاعدة الأساسية لجيش دروسوس عند مدينة فيتيرا^(٣٥)، ثم عند مدينة ماينز بعد ذلك. واستمرت حملته في جرمانيا حتى عام ٩ ق.م. حيث بلغ نهر الألب ومات هناك، ودفن في الضريح المعروف باسم أغسطس قيصر. ولكي يبسر دروسوس على نفسه عملية نقل الإمدادات، حفر قناة تصل بين الراين وبين زويدر والمحيط، وساعده ذلك على إخضاع الفريزيين، ولكن هذه القناة لم تكن كبيرة الفائدة فيما بعد^(٣٦).

وفي عام ٤٤ حين كان يوليوس قيصر فتنصلاً مع ماركس أنطونيوس أمر بعمل مسح عام للدولة الرومانية. غير أن مصرعه، في الخامس عشر من مارس عام ٤٤، حال بينه وبين إنجاز مشروعه. وتروى الأخبار الماثورة عن العصور الوسطى أن يوليوس قيصر كان قد ابتداءً فعلاً في هذا المسح العام للدولة الرومانية، إذ يذكر ايتيكوس ايستر^(٣٧) في كتاب جغرافية العالم (النصف الثاني من القرن

السابع) أن يوليوس قيصر أمر بإجراء هذا المسح العام حينما كان قنصلا ، وأن زينودوكسوس أتم مسح البلاد الشرقية في إحدى وعشرين سنة ونصف سنة ، وأن تيودوتوس أنجز مسح البلاد الشمالية في ثلاثين عاماً ، كما قام بوليكليتوس بمسح البلاد الجنوبية في اثنتين وثلاثين سنة . وعلى ذلك استغرق مسح أراضي الدولة الرومانية اثنتين وثلاثين سنة ، وتم عرض ذلك العمل على السناطور الروماني في عام ١٢ ق . م ويوجد في خريطة حول العالم التي رسمها ريتشارد هالدينجهام^(٣٨) جدول يذكر أن يوليوس قيصر ابتداء عملية المسح ، وأنه عهد بذلك العمل في الشرق إلى شخص يسمى نيكودوكسوس ، وفي الشمال والغرب إلى تيودوكسوس ، وفي الجنوب إلى بوليكليتوس . وهذه الأسماء الثلاثة قريبة جداً من الأسماء التي نكرها ايتيكوس إيستر ، ولا بد أنها هي أسماء الأشخاص أنفسهم . وبناء على هذه الأسماء ، فإن مساعدي يوليوس قيصر الثلاثة كانوا من اليونانيين .

ماركس فيبسانيوس أجريبا (٦٣ - ١٢ ق . م)

أدى بنا الحديث عن فتح جرمانيا من يوليوس قيصر إلى دروسوس ، الذي كان أحد ضباط أغسطس قيصر . وهذا الوصف ينطبق أيضاً على أجريبا ، وكان يمكننا أن نكتب هذا القسم تحت اسم « أغسطس » ، كما أطلقنا على القسم السابق اسم « يوليوس قيصر » . ولكن شتان ما بين هذين الرجلين ، إذ كان يوليوس قيصر يقود حملاته بنفسه ، وتعليقاته التي كتبها هي مذكراته الخاصة ، في حين كات أغسطس قيصر رجلاً محظوظاً اصطفاه القدر ليكون أول إمبراطور ، واستحق منصبه الأعلى هذا ، وكان كفاءاً له ، ولكنه اضطر من أجل ذلك أن يتفرغ لإدارة الإمبراطورية وأن يترك لغيره التمتع بالأعمال الإنشائية .

وسبق لنا أن وصفنا أعمال أجريبا في العمارة والهندسة ، وكان

من توقيقاته أنه أتم عملاً آخر بدأه يوليوس قيصر وهو مسح أراضي الدولة الرومانية ، وتضمن ذلك منه أعمالاً جغرافية كثيرة ، ومنها قياس الطرق وكانت هذه الطرق بنيت أصلاً لأغراض عسكرية ، ولكنها استخدمت أيضاً لأغراض التجارة والسفر . وأفاد عمل الخريطة لهذه الطرق بجميع الأغراض الحربية والسلمية . وابتدأ ذلك العمل قبل أغسطس قيصر وأجريبيا . فيذكر يوليوس أنه سبق قياس الطريق من حدود إسبانيا إلى نهر الرون ، وأن المسافات على طول ذلك الطريق كانت مكتوبة على شواهد حجرية . وفيما بين أيام يوليوس وأغسطس قيصر بنيت طرق كثيرة أخرى ، ثم قيست وعينت مسافاتها بالطريقة نفسها . وفي أيام أغسطس قيصر حان الوقت لمسح شبكة هذه الطرق الرومانية كلها ، وهذه هي المهمة التي عهد بها الإمبراطور أغسطس إلى أجريبيا .

وكانت نتيجة هذا العمل رسم خريطة للعالم (أى للإمبراطورية الرومانية وبعض الدول المجاورة) ، ورسمت هذه الخريطة بناء على أمر من أغسطس على حائط باب أوكثانيان في روما . وكانت هذه الخريطة من تصميم أجريبيا ، ولكن لم يتم رسمها حتى وفاته ، ولها شرح يبين المسافات بين الأماكن فضلاً عن مساحات الأقاليم .

وأدى هذا العمل إلى نهضة جديدة لتأليف المرشد الجغرافية لأغراض عسكرية أو مدنية . وسبق لنا أن أوردنا مثلاً على ذلك في الفقرات السابقة الخاصة بالجغرافي إيزيدوروس الشاراكى ، ومن المحتمل أن كتابه الذى عنوانه المحطات البارثية كان نتيجة من نتائج العمل الذى قام به أجريبيا . ويمكننا أن نتصور من ذلك أن كل حاكم روماني عارف بمسئوليته كان يأمر بعمل مرشد جغرافية مماثلة لإقليمه ، لأنه كان من العسير ، بل من المستحيل ، على حاكم روماني أن يحكم في إقليمه دون أن يكون لديه كتاب من هذا النوع .

وبالتدريج صارت المرشد الجغرافية نوعين ، وأولها المرشد الوصفية ، لأنها تصف الطرق والأقاليم بالألفاظ ، مع ذكر قوائم بأسماء المحطات والمسافات بينها ، وثانيها المرشد المصورة ، وهي تحتوى على خرائط ورسوم توضيحية أخرى . ولما كانت هذه الوثائق الجغرافية من ضرورات السفر ، فمن المحتمل أن تأليفها ابتداءً قبل عصر أغسطس قيصر ، ولكنها زادت كثيراً منذ ذلك ومع هذا فإن ما تبقى لنا منها قليل جداً ، وكان اختفاؤها نتيجة حتمية لكثرة استخدامها ، لأنها كانت معدة لاستخدام المسافرين وليس للعلماء . وأقدم ما لدينا من النوع الأول ما هو معروف باسم رحلة أنسونيوس وهي إلى القرن الثالث ، كما أن أقدم ما لدينا من النوع الثاني هو جدول بيوتنجر من القرن نفسه (٢٩) .

ويشرح فييجيتيوس في كتابه في فن الحرب (النصف الثاني من القرن الرابع) مدى الحاجة الحربية للمرشد الجغرافية بنوعيهما ، مفترضاً وجودها الفعلي ، وكانت هذه المرشد مألوفة لمدة لا تقل عن أربعة قرون قبل فييجيتيوس . وكانت هناك أيضاً مرشد للملاحين ، وهذه ترجع إلى العصر الإسكندري ونسخت هذه المرشد القديمة وزيدت بالتدريج خلال العصر البيزنطى (٤٠) . استمدت كتب الرحلات اللاتينية مادتها من دراسة أجريها ومن مصادر يونانية مختلفة .

الملك جوبا الثاني (مات سنة ٢٠ م تقريباً) :

يتضح التأثير الرومانى ، وكذلك تأثير اليونان غير المباشر ، فى أخبار جوبا الأول ، وهو ملك نوميديا الذى اتخذ جانب بومبي ، وأنهزم على يد يوليوس قيصر ، ثم انتحر أخيراً فى عاصمته زاما (٤١) سنة ٤٦ ق.م . أما ابنه جوبا الثانى ، الذى كان طفلاً فى ذلك الوقت ، فكان زينة فى موكب النصر الذى أحرزه يوليوس قيصر فى ذلك العام ، ونشأ جوبا الثانى فى روما ، وتعلم أحسن تعليم على يد معلمين يونانيين ، حتى أصبح عالماً ممتازاً ومواطناً

رومانياً . واطمأن الإمبراطور أغسطس قيصر إلى ولائه وسمح له بالعودة إلى نوميديا ، ثم أقامه ملكاً على مورتانيا سنة ٢٥ ق.م^(٤٢) ونتيجة لثقافته اليونانية ، أراد جوبا الثاني أن تكون له علاقات وثيقة مع العالم اليوناني وتزوج مرتين من أميرتين يونانيتين : الأولى كليوباترا سيليني ، ابنة ماركس أنطونيوس من الملكة كليوباترا العظيمة ، ثم جلافيرا، ابنة أرخيلائوس، ملك كبادوكيا^(٤٣) . وبذل جوبا الثاني غاية جهده ليدخل الثقافة اليونانية والرومانية إلى مملكته . وكتب كثيراً من الكتب باللغة اليونانية ،^(٤٤) تناول فيها تاريخ روما وليبيا ، وبلاد العرب وأشور ، كما قارن بين تراث اليونان وتراث الرومان ، ووصف جوبا الثاني النبات المعروف باسم يوفوريا (وهو نبات أفريقي) ، وأطلق عليه هو هذا الاسم تكريماً لطيبه يوفوريوس ، ومن المعروف أن مؤلفات جوبا الثاني مفقودة ، ولكنها معروفة لنا بأسمائها في كل من بليني وبلوتارك (القرن الأول) .

ونحن نهم بصفة خاصة بهذا النوميدي اليوناني الماهر ، نظراً لحب استطلاع الجغرافى ، إذ قام بأبحاث تتعلق بجزائر الخالدات (الكنارى) ، التى اعتقد أنها تتكون من خمس جزر^(٤٥) . ثم إنه عرف نهر النيجر ، وأسس النظرية القائلة بأن نهر النيل ينبع من جبل يقع فى غرب مورتانيا ، بالقرب من المحيط^(٤٦) . ولعل الذى ضلله هنا هو هيرودوت ؟ وكيفما كان الأمر، فنحن لا نستطيع أن نلومه على أخطاء لم تصحح إلا فى القرن الماضى ، لأنه كان من العسير لإصلاحها إلا بكثرة الملاحه فى البحار ورسم الخرائط الرياضية .

وهنا نستطيع أن نقرر بشأن الخطأ الجغرافى بشأن منابع النيل أن لوكريتيوس قال فى كتابه الذى عنوانه مسائل الطبيعة أن النيل ينبع من المناطق الجنوبية الحارة ، وأن قروفيس خلط بين النيجر والنيل . ويدل ذلك على وجود أخطاء جغرافية غريبة أخرى فى المؤلفات اليونانية واللاتينية ، ولكن هذا يطيل حديثنا أكثر مما ينبغى ، مع العلم بأننا تحدثنا بما فيه الكفاية لنعطى فكرة عن المعرفة الجغرافية فى عصر ما قبل المسيح .

هيجينوس (مات عام ١٠ م تقريباً) :

خصص هذا الكاتب الرومانى الوفير الإنتاج ، الذى أعتقه أغسطس قيصر وعينه مديراً لمكتبة البلاطين ، واحداً من مؤلفاته العديدة (المفقودة) لجغرافية إيطاليا . وكان هيجينوس فى ذلك أحد السباقين الذين احتذى حذوهم بترارك وكثير من الإنسانيين فى عصر النهضة الأوربية الكبرى . أى إنه كان الأول ، منذ بوليبيوس وسترابون ، ولعله الأول فى اللغة اللاتينية كلها فى موضوع تحويل الجغرافيا فى اتجاه الجغرافيا التاريخية ، وذلك لأنه كان يعمل على تحقيق أسماء الأماكن التى يذكرها المؤرخون والشعراء على ما كان موجوداً فى زمانه . لأنه لم يكن للأماكن معنى عند الإنسانيين القدماء أو الإنسانيين فى عصر النهضة إلا بمقدار علاقتها بالإنسان ، وليس الإنسان عامة ، بل الإنسان السياسى والجندى ، والفيلسوف والشاعر والفنان أو البطل الأسطورى .

التعليقات

- (١) فيما يتعلق بالجغرافيا في القرن الثالث ق . م . ، انظر الفصل السادس .
- (٢) التاريخ التقليدي للحرب الطروادية هو ١١٩٢ - ١١٨٣ ، لكن التاريخ الحقيقي لا يعيننا فيما يتعلق بمدينة مالوس ، ويكفي أن نذكر أن مالوس أنشئت في تاريخ موغل في التقدم .
- (٣) انظر Hans Joachim Mette, Sphairopoia , Untersuchungen zur Kosmologie des Krates von Pergamon (336 pp., Munich, 1936) [Isis 30, 325 (1939)] .
- (٤) انظر Collected by Karl Muller, Fragmenta historicorum graecorum, vol. 3 (Paris, 1849), pp. 108 — 148.
- (٥) انظر Greek - Latin edition of fragments in Karl Muller, Geographi graeci minores (Paris, ed. 1, 1855), Vol. 1, pp. 111 — 195; English translation in E.H. Warmington, Greek geography (London, 1934) [Isis 35, 250 (1944)], pp. 43 — 44, 198 — 207.
- (٦) يبدو أن هذا الكتاب كان من الكتب البحرية الصغيرة لإرشاد الملاحين . فيما يتعلق بسواحل البحر الأحمر . وبقيت منه أوراق في مؤلفات ديودور الصقلي (النصف الثاني من القرن الأول ق . م .) وفوتوريوس (النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي) .
- (٧) لا ينبغي الخلط بين أرتميدوروس هذا وأرتميدوروس آخر ، وهو كذلك من إفيسوس (النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي) ولكنه من عصر متأخر ، ويسمى هذا الأخير عادة أرتميدوروس دالديانوس ، وهو الذي ألف كتاباً عن الأحلام ، ولا بد أن اسم أرتميدوروس ومعناه منحة أرتميس كان منتشرًا في إفيسوس ، وهي المدينة التي وهبت لأرتميس .
- (٨) اكتشف اليونان منذ عصر مبكر خاصية الجاذبية في المغناطيس . ولكن خاصية التوجيه المغناطيسي لم تكتشف إلا في العصور الوسطى ، ولذا كان استخدام البوصلة في الملاحية من أعمال العصور الوسطى المتأخرة .

(٩) كيزيكوس جزيرة تقع في بحر مرمره، وهي إحدى المستوطنات اليونانية الأولى في آسيا الصغرى . وهي متصلة الآن بالساحل الجنوبي لهذا البحر وتسمى كاييدا . وما نعرفه عن يودكسوس هذا مستمد من بوسيدونيوس كما ورد في سترابون .

(١٠) المقصود بذلك اكتشاف الغربيين لهذه الرياح ؛ إذ من المحتمل أن الملاحين الهنود أو العرب كانوا عارفين بها، ولكن لاسبيل إلى إثبات ذلك . والرياح الموسمية ، رياح فصلية ، تهب في فصل معين من السنة في اتجاه معين وفي عكس الاتجاه في فصل آخر .

(١١) يعد ميخائيل إيفانوفتش رستوفتشف (١٨٧٠ - ١٩٥٢) أحد أولئك العلماء . انظر مجلة (Isis, 34, 173, 1942) ويذكر معجم أكسفورد للدراسات القديمة أن هيبالوس بلغ أوجه في القرن الأول ق . م . وأطلق بلييني اسم هيبالوس على الريح الموسمية الجنوبية الغربية . انظر (Pliny, Natural History, VI, 104 - 106)

(١٢) هذه المعلومات وغيرها في هذه الفقرة مأخوذة من كتاب W.W. Tarn and G.T.

Griffith, Hellenistic civilisation (London : Arnold, 1952) pp. 247 - 248.

ولكني شخصياً أشك في صدق هذه العبارة بالذات ، التي لاتتمشى مع الحقائق التالية هنا .

(١٣) تقع أفاميا على نهر العاص ، وكانت إحدى المدن الهامة في الدولة السليوكية كما ظلت على أهميتها في الولاية الرومانية الشامية ، وأطلق عليها خلال الحرب الصليبية الأولى اسم قامية (١٠٩٦ - ١٠٩٩) حينما حكمها الأمير تانكرد النورمانى .

(١٤) استخدم ه . ف . توزر هذا التمييز في كتابه الذى عنوانه :

History of Ancient Geography (rev. ed. by M. Cary; Cambridge, 1935), p. 190.

(١٥) كان هذا القول أحد المعتقدات القديمة التي يمكن إرجاعها إلى نيارخوس (في القرن الرابع ق . م .) وأرسطو وهيكتيوس (في القرن السادس ق . م .) ، وهوميروس . ولعرفة تفاصيل ذلك انظر القسم الأول > ١ ص ٢٩٩ ، ٣٨٤ ، > ٢ ص ١٤٩ > ٣ ص ٢٤٠ . ومن المعروف أن القول بوجود محيط واحد صحيح ؛ ولكن كلا من هوميروس وهيكتيوس أخطأ حين اعتقد أن هذا المحيط الواحد نهر كبير يحيط بالأرض ، ثم يعود ويصب في مجراه ، لأن هذا الرأي النهري يتعارض مع فكرة أن الأرض كرة .

(١٦) تقع أماسيا على نهر إريس (واسمه يشيل ارماك في تركيا الحالية) . وكانت أماسيا هذه عاصمة مملكة بنطس ، الواقعة في الجنوب من الطرف الشرق للبحر الأسود ،

وهي كذلك مسقط رأس الملك مريدانيس العظيم . انظر
(Strabon, XII, 3, 39; see also XV 30, 37).

(١٧) تقع أميسوس في مملكة بنطس ، وعلى هذا يشترك تيرانيون هذا مع سترابون في الوطن ، ولكنهما لم يلتقيا أو يعملوا معاً إلا في روما .

(١٨) توفي بوسيدونيوس في سنة ٥٠ ق . م . وعلى ذلك لا يستطيع سترابون أن يقابله إلا في شبابه المبكر . لأنه في سنة ٥٠ ق . م . كان سترابون في سن الرابعة عشرة ، وبوسيدونيوس في الثمانين .

(١٩) مثل هذه الإشارة وأمثالها تعنى كتابه « الجغرافيا » .

(٢٠) سافر سترابون سنة ٢٥ إلى إقليم طيبة في حاشية ايليوس جالوس وإلى مصر . ويذكر كارى . (M. Cary in Tozer's History of ancient geography, p. XXV iii)

« أنه في سنة ٢٥ قام أغسطس قيصر بمحاولة طائشة للقضاء على الاحتكار الذي فرضه الحميريون من العرب على جنوب البحر الأحمر ، فوجه حملة برية ضد واحدة من مدنها تسمى ماريابا . وبعد ستة أشهر من السير الشاق من خليج العقبة عبر صحراء العرب إلى ماريابا قام القائد ايليوس جالوس بمحاصرة المدينة ، ولكنه أخفق في إخضاعها . وهذه هي المحاولة الجادة الوحيدة لفتح بلاد العرب في التاريخ القديم . ومنعت العقبات التي عانتها حملة جالوس الأباطرة من القيام بمحاولات أخرى للتوغل في بلاد العرب » .

(٢١) كانت نهاية الجزء السابع من هذه الجغرافيا موجودة في القرن الحادى عشر الميلادى ، إذ يوجد ملخص لهذا الجزء في مختصر الفاتيكان ، وهو مخطوط مكتوب في نهاية ذلك القرن . وهناك فقرات كثيرة تبلغ ٣٤ صفحة من نهاية هذا الجزء السابع .

(٢٢) المقصود بالجينيئيلوجيا قراءة الطالع وحسبان الميلاد ، وكان الناس في زمن سترابون يعتقدون في التنجيم ، أما المتعلمون والأذكاء من أمثال سترابون فإنهم خففوا من تلك العقيدة بالرؤية والشك . اقرأ تعليقات سترابون على علم الفلك والتنجيم في كتابه ج ١٦ ، فصل ١ ، وهو خاص بالكلدان ، ثم ج ١٧ ، فصل ١ ، فقرة ٤٦ الخالص بالمصريين .

Geography, XVI, 2, 24.

(٢٣)

(٢٤) كان تصور البراكين على أنها صمامات أمن لايزال موجوداً في أوروبا حتى

نهاية القرن الثامن عشر . وقال بذلك واحد من مؤسسى علم الجيولوجيا الحديث وهو جيمس هاتون فى كتابه [Theory of the Earth, (ed. 2 vols., Edinburgh, 1795), vol. 1, p. 146] (٢٥) انظر جغرافية سترابون ، ج ١ ، فصل ٣ ، فقرة ٤ ، وفى هذا الفصل أمثلة أخرى .

(٢٦) لاحظ هيرودوت مثل هذه الملاحظات الجيولوجية من قبل بصدد وادى تيمى بإقليم تساليا . كما لاحظ أرسطو وبوسيدونيوس ملاحظات مشابهة بصدد جزر ليبارى . (٢٧) انظر كتاب الجغرافيا ، ج ١٣ ، فقرة ٥٤ ، ص ١ .

(٢٨) خاراكس كلمة يونانية معناها عصا ، ومن ثم سور من عصى أو معسكر مسور بعضى مشبة فى الأرض ، وكثير من المعسكرات أطلق عليها اسم شاراك أو خاراكس وموقع هذا المكان قرب مصب نهر دجلة ، ولعل ازيلوروس كان كلدانيا .

(٢٩) انظر Wilfred H. Schoff, Parthian Stations of Isidore of Charax (47 pp. Philadelphia, 1914).

(٣٠) وصف يوليوس قيصر غابة هركينيا سابقاً فى كتابه الذى عنوانه حرب الجاليين ، بأنها غابة تحترق جرمانيا حتى إقليم داكيا (٦٠ يوماً فى الطول وتسعة أيام فى العرض) . ومعنى ذلك أن هذا الوصف ضم الغابة السوداء وأودينغالد وغابة ثورنجر وهارتز وارترجيره ورينجيره . ويلاحظ أن ألفاظ « هارتز » و « إتر » مشتقة من « هركينيا » . وكانت الجبال أكثر صعوبة عند تعيين موقعها بدون خريطة .

(٣١) انظر Cicero, De provinciis consularibus in senatu oratio (chap. 13) dated 56 B. C.

(٣٢) كانت الجزيرة التى أطلق عليها يوليوس قيصر اسم مونا ، وقال إنها تقع فى وسط المسافة بين بريطانيا وهيبيرنيا هى جزيرة مان وليست جزيرة أنجلىسى . وأطلق بلينى على هذه الجزيرة اسم مونايا .

(٣٣) كان اليونان على علم بالجزء السفلى من وادى الدانوب ، وليس بالجزء العلوى منه . وكان أوكتافيانوس (أغسطس فيما بعد) أول من أدرك أثناء حملته فى بانونيا سنة ٣٥ ق.م. أن نهر الدانوب يصب فى ألمانيا الجنوبية ونهر الاستر فى بلاد البلقان جزءان من نهر واحد . وفى سنة ١٥ ق. م . زار تيريوس منابع الدانوب . وهذه هى أول مرة يعرف فيها النهر كله .

(٣٤) نيرون كلوديوس (٣٨ - ٩ ق . م .) هو ابن زوجة أغسطس ، وتولى منصب المدير المالي في السنة الثامنة عشرة من عهده . وخلف أغسطس في الحكم تييريوس (٤٢ ق . م . - ٣٧ م .) وهو الأخ الأكبر للقائد دروسوس : وكانت مدة حكمه (١٤ - ٣٧ م .) .

(٣٥) تقع فترا في الجزء السفلي من الراين بالقرب من مدينة اكساتين الحالية . ومن الغريب أن يكون هذا الموقع الذي هو أقدم معسكر روماني على الراين (كانت تقيم هناك فرقة حتى نهاية الإمبراطورية) ، هو أيضاً الموقع الذي أقيم عليه قصر النيبولنجين . حيث ولد سيجفريد ، قاتل التنين الأسطوري .

(٣٦) Alfred Klotz, *Caesarstudien, nebst einer Analyse der Strabonischen Beschreibung von Gallien und Britannien* (267 pp.; Leipzig, 1910)

(٣٧) انظر Louis Baudet, *Cosmographic d'Ethicus* (Paris 1843) p. 8.

(٣٨) هذه الخريطة هي المخطوطة في كاتدرائية هرفورد في إنجلترا ، وهي مرسومة سنة ١٢٨٣ تقريباً ، انظر Introduction, vol. 2, p. 1050 . انظر الطبعة الجديدة لهذه الخريطة ، ومعها مقالة كتبها كرون ونشرتها الجمعية الملكية الجغرافية (لندن ١٩٥٤) . وهذه الخريطة أو الأصل الذي أخذت عنه عملت لتوضح تاريخ هرشيوش المؤرخ الروماني في القرن الخامس .

(٣٩) انظر For more details, see Introduction, vol. 1, p. 323

(٤٠) فيما يتعلق بالعصر البيزنطي انظر Armand Delatte, *Les Portulans grecs* Liège: Faculté de philosophie et lettres, 1947) (Isis 40, 71 — 72 (1949).

وقامت كل دولة متحضرة بعمل المرشد اللازمة لها ، مثل الصين ، (Introduction, vol. 1, pp. 324, 536)

والدول الإسلامية (المصدر نفسه ص ٦٠٦) . والكتب العربية والصينية الخاصة بالمرشد تاريخ مستقبل ، استجابة لضرورات الإدارة في تلك البلاد .

(٤١) مدينة زاما هي ياما في تونس ، وتقع في الجنوب الغربي من قرطاجنة : (Oxford Classical Dictionary, p. 964).

(٤٢) يمكننا أن نقول على وجه التقريب بأن نويميا هي غرب تونس وشرق الجزائر الحالية ، وأن موربتانيا هي غرب الجزائر وراكش الحالية . وكان جوبا الأول ملكاً على

نوميديا ، أما جوبا الثاني فإنه صار ملكاً على موريتانيا فضلاً عن نوميديا ، وكان ذلك من دواعى السياسة الرومانية .

(٤٣) لقي جوبا الثاني هاتين الأميرتين فى روما ، فبعد موت ماركس أنطونيوس سنة ٣٠ ق . م . أعيدت كليوباترا سيلينى إلى روما . أما أرخيلوس فكان ملكاً على كبادوكيا بناء على رغبة أنطونيوس ، ولكنه آهم بالحياة فيما بعد ، فأخذته السلطات الرومانية إلى روما وأرغم على البقاء هناك ، حيث مات سنة ١٧ م .

(٤٤) كان من الممكن أن نتحدث عن جوبا الثاني هذا مع غيره من اليونانيين فى القسم الأول من هذا الفصل . ولكن موقفه شاذ لأنه لأنه رجل من نوميديا ، وتعليمه كله فى روما ، وأنه يمثل مدى اصطباغ العاصمة اللاتينية للعالم بالصيغة الملنسية .

(٤٥) يمكن مطابقة بعض الأسماء والتفاصيل الأخرى التى يذكرها بلينى على بعض الأسماء والتفاصيل الحالية ، مثل اسم جزائر الكناريا . ومن المحتمل أن هذه الجزر كانت معروفة للقرطاجيين ، ومن المحتمل كذلك أن جوبا الثاني استوحى فى بحثه أخباراً محلية .

(٤٦) كان من العسير القضاء على هذه النظرية وغيرها من النظريات التى تجعل من النيجر فرعاً للنيل ، والتى تعتبر الصلة الغربية بين النيجر والنيل هى الصورة الإفريقية للصلة بين الجزئين القديمين من الدانوب الأوربي ، (Introduction, vol. 3, pp. 1158, 1772)